

أم عمارة" وشرف الدفاع عن رسول الله"



منذ أن بزغ فجر الإسلام ليحرر الإنسان من العبودية لغير الله، عرفت مسيرته الخيرة نساء عظيمات خلدهن التاريخ بما قدمن من تضحيات، وما سجلن من مواقف مشرفة كان لها أثرها في انتشار رسالة الحق في ربوع العالم . ونحن هنا نقدم نخبة مختارة من النساء الخالدات اللاتي يعتز بهن الإسلام، لنوضح للمرأة المسلمة المعاصرة حجم العطاء المنتظر منها تجاه دينها ووطنها وأسررتها، خاصة في هذا الزمن الذي يموج بتحديات ومشكلات تحاول صرف المرأة عن القيام بدورها الذي رسمه لها دينها الحنيف .

ما أعظم الذود عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في ساحة الجهاد، دفاعاً عن الدين والوطن والكرامة . وما أعظم أن يستشهد مسلم أو يجرح دفاعاً عن هذا الرسول الكريم الذي وهب حياته لهداية أمته، ورفع رأسها بين الأمم، وقدم كل غال ونفيس إعلاء للكلمة التوحيد ودفاعاً عن كرامة المسلمين .

هذا الشرف الكبير نالته امرأة من طراز فريد، شهدت الغزوات مع رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وصحابته الأبرار الكرام، تسقي المجاهدين، وتداوي جراح المصابين، وتضرب بسيفها من أجل الحق، وتفوقت في ذلك على الأبطال والفرسان .

إنها نسيبة بنت كعب الأنصارية الخزرجية التي تكنى ب(أم عمارة) وهي أخت عبدالله بن كعب فارس بدر، وعبدالرحمن

وهو من العابدين المتقين، وزوجة يزيد بن عاصم، أنجبت ولدين "حبيب وعبدالله" وهما من فرسان الإسلام . .
وتزوجت من بعده (غزية بن عمرو) وأنجبت تميماً وخولة .
. وكان إسلامها إسلام عقل ويقين، حيث جاء عن فهم وإرادة واقتناع، لا تبعية لزوج أو أخ أو أب أو كبير قوم

بطولة نادرة

شهدت نسبية غزوة أحد مع زوجها وولديها، فلما تحول ميزان المعركة في صالح المشركين، لم ترهب الموقف رغم عدد وعتاد المشركين، ولم تفر من ميدان المواجهة، بل ثبتت وصمدت وسجلت أعظم موقف يمكن أن يقوم به إنسان، حيث أخذت تدافع في بسالة منقطعة النظير عن نبي الله الخاتم، تتلقى عنه الضربات، وتذود عنه غير عابئة بما أصابها من جروح والتي بلغت - كما يقول الرواة - اثني عشر جرحاً .
نقل عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قوله في غزوة أحد: "ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا وأراها تقاتل دوني" .
سألت أم عمارة رسول الله يوماً: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن في شيء فاستجاب الله لها، ونزل الوحي بآيات كريمة تؤكد مكانة المرأة في الإسلام:
"إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقات والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذكارات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً" .
وكانت أم عمارة إحدى امرأتين وفدتا مع ثلاثة وسبعين رجلاً إلى مكة للقاء النبي "صلى الله عليه وسلم" ومبايعته عند العقبة، كما بايعت النبي "صلى الله عليه وسلم" بيعة الرضوان عند الشجرة التي رضي الله عن كل من بايع تحتها، وأثبت ذلك في محكم التنزيل فقال جل شأنه: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم" . "فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً"

مع الرسول في الجنة

في يوم أحد شاهدها الرسول "صلى الله عليه وسلم" تقاتل مع زوجها وولديها، فقال لابنها عبدالله "بارك الله عليكم من أهل بيت، رحمكم الله أهل بيت" .
قالت أم عمارة: ادع الله أن نرافقك في الجنة .
فقال: "اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة" .
قالت: والله لا أبالي بعد ذلك ما أصابني من الدنيا .
ولم يتوقف دور أم عمارة في الدعوة الإسلامية على ما قدمته في حياة الرسول "صلى الله عليه وسلم" فقط، ولكنه امتد إلى آخر يوم في حياتها، حيث شاركت في جيش أبي بكر الذي حارب المرتدين، وفي معركة اليمامة مع خالد بن الوليد .
ورغم قوة إيمانها وتسليمها بقضاء الله وقدره، فإنها حزنّت على ولدها "حبيب" الذي أرسله النبي "صلى الله عليه وسلم" برسالة إلى مسيلمة الكذاب فقتله بعد أن أهانه وعذبه .
سأله الكذاب: أتشهد أن محمداً رسول الله؟
فيقول: نعم
فيقول له: أتشهد أني رسول الله؟

فيقول: لا أسمع شيئاً .

أخذ الكذاب يقطع بسيفه في جسم الفتى المؤمن الصابر، فلا يزيده التعذيب إلا عزمًا وصلابة وإيمانًا وإحسانًا حتى مات .

. علمت بموت ولدها فنذرت ألا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة، ووفت بنذرها

طبيبة المجاهدين

وإلى جانب دورها البطولي في المعارك، وشرف الدفاع عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" كانت أم عمارة تقوم بواجبها الإنساني في ترميض المجاهدين، حيث كانت تحمل الأربطة على وسطها، وكلما أصاب أحد المجاهدين جرح، جرت إليه وضمدت جراحه، وطلبت منه أن ينهض بسرعة ليستأنف الجهاد في سبيل الله . وكما فعلت مع الجميع، فعلت مع ابنها الذي جرح في أحد، وقالت له بعد أن أسعفت جراحه: قم وانهض إلى الجهاد، وعندما شاهد النبي "صلى الله عليه وسلم" ما أصاب ولدها أشار إلى أحد المشركين، وقال: "هذا ضارب ابنك" فسارعت إليه وضربت في ساقه فوقع على الأرض وأجهزت عليه . وهكذا غيرت أم عمارة تلك القاعدة التي تقول: إن الحرب والجهاد شأن من شؤون الرجال، لا تستطيع النساء المشاركة فيه، أو تحمل أعبائه وقسوته، وأكدت عملياً أن ساحة الجهاد والكفاح الوطني تتسع للرجال والنساء، فالكل يحمل المشاعر الوطنية، والكل يستطيع أن يؤدي واجباته، دفاعاً عن دينه ووطنه وكرامته . لقد أبلت هذه الفارسة في الغزوات التي شاركت فيها بلاء حسناً، وكلما رآها النبي "صلى الله عليه وسلم" تدافع عن الإسلام والمسلمين هتف قائلاً: "من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة" . فقدت نسيبة بنت كعب "رضي الله عنها" يدها في إحدى الغزوات، وقدمت ولدها شهيداً في سبيل الله، وعاشت تجاهد في سبيل الله بكل ما أوتيت من عزم وقوة، وكلمة الحق على لسانها، والسيف في يدها، ووعاء الماء في اليد الأخرى، والأربطة حول وسطها تضمد بها الجراح أثناء الغزوات، وكانت كلماتها ترفع همم المجاهدين، وتشد من أزر المقاتلين، . فيكون النصر حليفهم، والسداد رفيقهم

الثأر من الكذاب

وتمضي الأيام والسنون وترتفع راية الإسلام، ويفتح المسلمون مكة بإذن الله وعونه، ويلتحق النبي "صلى الله عليه وسلم" بالرفيق الأعلى، وينقلب المرتدون المنافقون على أعقابهم، فكانت معركة اليمامة وهي من أشرس المعارك على المسلمين وفيها قتل ابنها حبيب، فمضت تطلب قتل عدو الله مسيلمة الكذاب، فإذا به قتيل، وإذا عبدالله ابنها الآخر هو الذي أخذ بثأر أخيه وخلص الإسلام من رأس الفتنة . تذكرت وعد النبي الكريم، ووعدده حق أنها معه في الجنة، هي وأهلها، وتذكرت ردها عليه، بألا يشغلها أمر من أمور الدنيا أو تجزع لصروفها ومصائبها، ولكن تصبر وتحبس لثقال في نهاية المطاف جزاء المحسنين الصابرين . سبقت نسيبة بنت كعب الكثيرين، في كل ميدان مضت فيه، وفي كل غزوة خاضتها وشاركت فيها، وستظل السيرة الطيبة لهذه الفارسة النبيلة على كل لسان إلى يوم الدين، وسيذكر المسلمون لها هذا الموقف النبيل في غزوة أحد، عندما وقفت تقاتل دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله، وهو يكرر كلماته: "من يطيق . " ما تطيقين يا أم عمارة

